مفهوم العقيدة الإسلامية

أولاً: تعريف العقيدة في الاصطلاح العام: هي الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه ضميره، ويتخذه مذهباً وديناً، بغضِّ النظر عن صحته من عدمها.

ثانياً: العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة من أصول الدين، وأموره، وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله ـتعالىـ في الحكم، والأمر، والقدر، والشَّرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع.

ثالثاً: موضوعات علم العقيدة: العقيدة ـبمفهوم أهل السنة والجماعةـ اسم عَلَم على العِلْم الذي يُدرس ويَتَناول جوانب التوحيد، والإيمان، والإسلام، وأمور الغيب، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وما أجمع عليه السلف الصالح من أمور العقيدة، كالولاء والبراء، والواجب تجاه الصحابة، وأمهات المؤمنين ـرضوان الله عليهم أجمعينـ.

ويدخل في ذلك الرد على الكفار، والمبتدعة، وأهل الأهواء، وسائر الملل والنحل، والمذاهب الهدامة، والفرق الضالة، والموقف منهم، إلى غير ذلك من مباحث العقيدة.

رابعاً: أسماء علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة:

١ـ العقيدة والاعتقاد، والعقائد.

٢ـ التوحيد. ٣ـ السُنة. ٤ـ الشريعة.

٥ـ الإيمان. ٦ـ أصول الدين، أو أصول الديانة.

خامساً: أهل السنة والجماعة: هـم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهم المتمسكون بسنة النبي ﷺ وهم الصحابة، والتابعون، وأئمة الهُدى المتَّبِعون لهم بإحسان، وهم الذين استقاموا على الاتباع، وجانبوا الابتداع في أي مكان وزمان، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة.

وسُموا بذلك لانتسابهم لسنة النبي ﷺ واجتماعهم على الأخذ بها ظاهراً وباطناً، في القول، والعمل، والاعتقاد.

سادساً: أسماء أخرى لأهل السنة والجماعة: لأهل السنة والجماعة أسماء أخرى يعرفون بها، منها:

١ـ أهل السنة والجماعة. ٢ـ أهل السنة.

٣ـ الجماعة. ٤ـ السلف الصالح.

٥ـ أهل الأثر. ٦ـ أهل الحديث.

٧ـ الفرقة الناجية. ٨ـ الطائفة المنصورة.

٩ـ أهل الاتباع.

خصائص أهل السنة والجماعة

كما أن لعقيدة أهل السنة والجماعة ميزاتٍ تمتاز بها عن غيرها من العقائد ــ فكذلك لأهل السنة خصائص وميزات يمتازون بها عن غيرهم من أهل الملل والنحل، ويجدر بكل من انتسب إليهم أن يأخذ بها، ويأطر نفسه عليها، حتى ينال ما ناله أسلافه من خير وفضل.

فمن تلك الخصائص التي تميز بها أهل السنة والجماعة ما يلي:

١ــ **الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة:** فهم ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدَهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكَهم، وأخلاقهم، فكل ما وافق الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائناً من كان.

٢ــ **التسليم لنصوص الشرع، وفهمها على مقتضى منهج السلف:** فهم يسلِّمون لنصوص الشرع، سواء فهموا الحكمة منها أم لا، ولا يعرضون النصوص على عقولهم، بل يعرضون عقولهم على النصوص، ويفهمونها كما فهمها السلف الصالح.

٣ــ **الاتباع وترك الابتداع:** فهم لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ ولا يرضون لأحد كائناً من كان أن يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ.

٤ــ **الاهتمام بالكتاب والسنة:** فهم يهتمون بالقرآن حفظاً وتلاوة، وتفسيراً، وبالحديث دراية ورواية.

بخلاف غيرهم من المبتدعة الذي يهتمون بكلام شيوخهم أكثر من اهتمامهم

بالكتاب والسنة.

٥ــ احتجاجهم بالسنة الصحيحة وترك التفريق بين المتواتر والآحاد: سواء في الأحكام أو العقائد، فهم يرون حجية الحديث إذا صح عن رسول الله ﷺ ولو كان آحاداً.

٦ــ ليس لهم إمام معظم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول ﷺ: أما غير الرســول ﷺ فإنهم يعرضون كلامه على الكتاب والسنة، فما وافقهما قُبِل، وما لا فلا، فهم يعتقدون أن كلَّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويُرَدُّ إلا الرسول ﷺ.

أما غيرهم من الفرق الأخرى، ومن متعصبة المذاهب ــ فإنهم يأخذون كلام أئمتهم كله حتى ولو خالف الدليل.

٧ــ هم أعلم الناس بالرسول ﷺ: فهم يعلمون هديه، وأعماله، وأقواله، وتقريراته؛ لذلك فهم أشد الناس حباً له، واتباعاً لسنته.

بخلاف غيرهم من أهل البدع الذي يعرفون عن أئمتهم ما لا يعرفونه عن رسول الله ﷺ.

٨ــ الدخول في الدين كله: فهم يدخلون في الدين كله، ويؤمنون بالكتاب كله؛ امتثالاً لقوله ــتعالىــ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً] (البقرة: ٢٠٨).

بخلاف الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وبخلاف الذين نسوا حظاً مما ذكروا به، والذين جعلوا القرآن عضين؛ فآمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض.

٩ـ تعظيم السلف الصالح: فأهل السنة يعظمون السلف الصالح وهم أهل القرون المفضَّلة، ومن تبعهم بإحسان، ويقتدون بهم، ويهتدون بهديهم، ويرون أن طريقتهم هي الأسلم، والأعلم، والأحكم.

١٠ـ الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة، ورد المتشابه إلى المحكم: فهم يجمعون بين النصوص الشرعية في المسألة الواحدة، ويردون المتشابه إلى المحكم؛ حتى يصلوا إلى الحق في المسألة.

١١ـ الجمع بين العلم والعبادة: بخلاف غيرهم، فإما أن يشتغل بالعبادة عن العلم، أو بالعلم عن العبادة، أما أهل السنة والجماعة فيجمعون بين الأمرين.

١٢ـ الجمع بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب: فهم لا ينكرون الأسباب، ولا تأثيرها إذا ثبتت شرعاً أو قدراً، ولا يَدَعُون الأخذ بالأسباب، وفي الوقت نفسه لا يلتفتون إليها.

ولا يرون أن هناك تنافياً بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب؛ لأن نصوص الشرع حافلة بالأمر بالتوكل على الله، والأخذ بالأسباب المشروعة أو المباحة في مختلف شؤون الحياة، فقد أمرت بالعمل، والسعي في طلب الرزق، والتزود للأسفار، واتخاذ العدد في مواجهة العدو.

١٣ـ الجمع بين التوسع في الدنيا والزهد بها: فأهل السنة والجماعة لا ينكرون على من يتوسع في الدنيا، ويسعى في كسب الرزق، بل يرون أنه ينبغي للإنسان أن يكفي نفسه ومن يعول، ويستغني عن الناس، ويقطع الطمع مما في أيديهم، على ألا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، وعلى ألا يكتسب المال من غير حله، كما لا يعيبون على من آثر الكفاف، ورضي بالقليل من متاع

الدنيا، لأنهم يرون أن الزهد إنما هو زهد القلب، وهو أن يترك الإنسان ما لا ينفع في الآخرة.

أما إذا توسع العبد في الدنيا، وجعلها في يده لا في قلبه، يرفد بها الإخوان، ويتصدق على الفقراء والمساكين، ويعين بها على نوائب الحق ــ فذلك من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء؛ كما هو حـــال الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم من أثرياء الصحابة من المهاجرين والأنصار ــرضي الله عنهمــ.

وكحال ابن المبارك رحمه الله فلقد كان من أغنى أهل زمانه، وهو في الوقت نفسه من أزهدهم إن لم يكن أزهدهم.

١٤ــ الجمع بين الخوف والرجاء والحب: فأهل السنة والجماعة يجمعون بين هذه الأمور، ويرون أنه لا تنافي ولا تعارض بينها.

قال الله ــسبحانه وتعالىــ في وصف عباده الأنبياء والمرسلين: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ](الأنبياء:٩٠).

وقال في معرض الثناء على سائر عباده المؤمنين: [تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ](السجدة:١٦).

وهناك مقولة مشهورة عند السلف، وهي قولهم: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف فهو حروري[١] ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف، والحب، والرجاء فهو مؤمن موحِّد».

١ــ نسبة إلى حروراء مدينة في العراق وهي موطن الخوارج الأوائل.

١٥ـ الجمع بين الرحمة واللين والشدة والغلظة: بخلاف غيرهم ممن يأخذ جانباً من هدي السلف ويدع الجانب الآخر، فيأخذون بالشدة في جميع أحوالهم، أو باللين في جميع أحوالهم.

أما أهل السنة فيجمعون بين هذا وهذا، وكل في موضعه، حسب ما تقتضيه المصلحة، ومقتضيات الأحوال، وإن كان الأصل في معاملتهم لزوم الرفق، والأخذ باللين.

١٦ـ الجمع بين العقل والعاطفة: فعقولهم راجحة، وعواطفهم صادقة، ومعاييرهم منضبطة، فلم يغلِّبوا جانب العقل على العاطفة، ولا جانب العاطفة على العقل، وإنما جمعوا بينهما على أكمل وجه وأتمه، فمع أن عواطفهم قوية مشبوبة إلا أن تلك العواطف تضبط بالعقل، وذلك العقل يضبط بالشرع.

[نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ] (النور:٣٥).

١٧ـ العدل: فالعدل من أعظم المميزات لأهل السنة والجماعة، فهم أعدل الناس، وأولاهم بامتثال قول الله ـعز وجلـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ](النساء:١٣٥).

وقوله: [وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى] (الأنعام: ١٥٢).

حتى إن الطوائف الأخرى إذا تنازعت احتكمت إلى أهل السنة.

١٨ـ الأمانة العلمية: فالأمانة زينة العلم، وروحه الذي يجعله زاكي الثمر، لذيذ المطعم، وأهل السنة لهم القِدحُ المعلى في ذلك الشأن.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم ـ الأمانة في النقل، والبعد عن التزوير، وقلب الحقائق، وبتر النصوص، أوتحريفها، فإذا نقلوا عن مخالف لهم نقلوا كلامه

تامّاً، فلا يأخذون منه ما يوافق ما يذهبون إليه، ويدعون ما سواه؛ كي يدينوا المخالف لهم، وإنما ينقلون كلامه تامّاً، فإن كان حقاً أقرّوه، وإن كان باطلاً ردّوه، وإن كان فيه وفيه، قبلوا الحق وردّوا الباطل، كل ذلك بالدليل القاطع، والبرهان الساطع.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم أنهم لا يحمّلون الكلام ما لا يحتمل، وأنهم يذكرون ما لهم وما عليهم، وأنهم يرجعون للحق إذا تبيّن، ولا يفتون ولا يقضون إلا بما يعلمون.

كما أنهم أحرص الناس على نسبة الكلام إلى قائله، وأبعدهم من نسبته إلى غير قائله.

١٩ـ الوسطية: قال ـ تعالى ـ: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً](البقرة:١٤٣).

فالوسطية من أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة.

فكما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك ـ فكذلك أهل السنة والجماعة؛ فهم متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

وتتجلى وسطية أهل السنة والجماعة في شتى الأمور؛ سواء في باب العقيدة، أو الأحكام، أو السلوك، أو الأخلاق، أو غير ذلك.

٢٠ـ عدم الاختلاف في أصول الاعتقاد: فالسلف الصالح لا يختلفون ـ بحمد الله ـ في أصل من أصول الدين، وقواعد الاعتقاد؛ فقولهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله واحد، وقولهم في الإيمان وحقيقته ومسائله واحد، وقولهم في

القدر واحد، وهكذا في باقي الأصول.

٢١ـ ترك الخصومات في الدين، ومجانبة أهل الخصومات: لأن الخصومات مدعاةٌ للفرقة والفتنة، ومجلبةٌ للتعصب واتباع الهوى، ومطيةٌ للانتصار للنفس، والتشفي من الآخرين، وذريعة للقول على الله بغير علم.

أخرج الآجري رحمه الله بسنده عن مسلم بن يسار رحمه الله أنه قال: «إياكم والمراءَ؛ فإنه ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته».

وأخرج أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله قال: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل».

وقال جعفر بن محمد رحمه الله: «إياكم والخصوماتِ؛ فإنها تشغل القلب وتورث النفاق».

٢٢ـ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق: فهم حريصون كل الحرص على وحدة المسلمين، ولمِّ شعثهم، وجمع كلمتهم على الحق، وإزالة أسباب النزاع والفرقة بينهم؛ لعلمهم أن الاجتماع رحمة، وأن الفرقة عذاب؛ ولأن الله ـعز وجلـ أمر بالائتلاف، ونهى عن الاختلاف كما في قوله ـتعالىـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا] (آل عمران:١٠٢، ١٠٣).

بخلاف الذين يسعون للفرقة بين المسلمين، ويبذرون بذور الشقاق في صفوفهم، فيفرقونهم عند أدنى نازلة، ويحزبونهم، ويؤلبون بعضهم على بعض، ويُغْرُون بعضهم ببعض.

٢٣ـ سعة الأفق: فهم أوسع الناس أفقاً، وأبعدهم نظراً، وأرحبهم بالخلاف

صدراً، وأكثرهم للمعاذير التماساً.

وهم لا يأنفون من سماع الحق، ولا تحرج صدورهم من قبوله، ولا يستنكفون من الرجوع إليه، والأخذ به.

ثم إنهم لا يُلزمون الناس باجتهاداتهم، ولا يضللون كل من خالفهم، ولا تضيق أعطانهم في الأمور الاجتهادية، التي تختلف فيها أفهام الناس.

ومن مظاهر سعة الأفق عندهم بعدهم عن التعصب المقيت، والتقليد الأعمى، والحزبية الضيقة.

٢٤ــ حسن الخلق: فأهل السنة أحسن الناس خلقاً، وأكثرهم حلماً وسماحة وتواضعاً، وأحرصهم دعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال.

٢٥ــ هم أهل الدعوة إلى الله: فهم يدعون إلى دين الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ويسلكون في ذلك شتى الطرق المشروعة والمباحة؛ حتى يعرف الناس ربهم، ويعبدوه حق عبادته.

فلا أحد أحرص منهم على هداية الخلق، ولا أحد أرحم منهم بالناس.

٢٦ــ هم الغرباء: الذين يُصْلحُونَ ما أفسد الناس، ويَصلُحون إذا فسد الناس.

٢٧ــ هم الفرقة الناجية: التي تنجو من البدع والضلالات في هذه الدنيا، وتنجو من عذاب الله يوم القيامة.

٢٨ــ وهم الطائفة المنصورة: لأن الله معهم، وهو مؤيدهم وناصرهم.

٢٩ــ لا يوالون ولا يعادون إلا على أساس الدين: فلا ينتصرون لأنفسهم، ولا يغضبون لها، ولا يوالون لِعُبِّيَّة جاهلية، أو عصبية مذهبية، أو راية حزبية، وإنما يوالون على الدين، فولاؤُهم لله، وبراؤهم لله، ومواقفهم ثابتة، لا تتبدل

ولا تتغير.

٣٠ـ سلامتهم من تكفير بعضهم لبعض: فأهل السنة سالمون من ذلك، فهم يردون على المخالف ولو كان منهم، ويوضحون الحق للناس، فهم يُخطِّئون، ولا يكفرون، ولا يبدعون، ولا يفسقون إلا من استحق ذلك.

بخلاف غيرهم من الطوائف الأخرى كالخوارج الذي يكثر فيهم الاختلاف والتضليل والتكفير؛ ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها.

٣١ـ سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب الرسول ﷺ: فقلوبهم عامرة بحبهم، وألسنتهم تلهج بالثناء عليهم، فأهل السنة يرون أن الصحابة خير القرون؛ لأن الله ـعز وجلـ زكاهم وكذلك رسوله ﷺ.

٣٢ـ سلامتهم من الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض: فأهل السنة والجماعة أكثر الناس رضاً ويقيناً، وطمأنينة، وإيماناً، وأبعدهم عن الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض.

حتى إنه ليوجد عند عوام أهل السنة من بَرْدِ اليقين، وحسن المعتقد، والبعد عن الحيرة ـ ما لا يوجد عند علماء الطوائف الأخرى من أهل الكلام وغيرهم ممن اضطربوا في تقرير عقائدهم فحاروا وحيَّروا، وتعبوا وأتعبوا.

٣٣ـ يدينون بالنصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين وعامتهم: منطلقين بذلك من قول النبي ﷺ:«**الدين النصيحة**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ **قال:** «**لله ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين، وعامتهم**».

فهم ينصحون لله إيماناً به، وقياماً بحقه، وعبودية له ظاهراً وباطناً.

وينصحون لكتاب الله بالإقبال عليه تلاوة وحفظاً وتدبراً وتعلماً لألفاظه ومعانيه، وعملا به، ودعوة للناس إليه.

وينصحون للرسول ﷺ بمحبته، وتعظيمه، وتوقيره، والإقتداء به، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والذب عنه، ونصرة دينه، وتقديم قوله على قول كل أحد من البشر.

وينصحون لأئمة المسلمين ــ من الإمام الأعظم إلى من دونه ممن لهم ولاية خاصة أو عامة ــ باعتقاد ولايتهم، وبالسمع والطاعة لهم بالمعروف، وببذل المستطاع لإرشادهم، وتنبيههم على ما فيه صلاحهم وصلاح الأمة جمعاء، وتحذيرهم مما فيه ضرر عليهم وعلى الأمة.

٣٤ــ التثبت في الأخبار، وعدم التسرع في إطلاق الأحكام: بخلاف الذين يسارعون في إطلاق الأحكام، ويتهافتون على إلصاق التهم بالأبرياء، فَيُفَسِّقُون، ويبدعون، ويكفرون بالتهمة والظنة، من غير ما برهان أو بينة.

٣٥ــ حصول البشرى عند الممات: وذلك لإيمانهم بالله، واستقامتهم على أمره، قال ــ تعالى ــ: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] (فصلت: ٣٠).

٣٦ــ مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات: فمن أسباب مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات ــ بل هو أساسها وأصلها ــ صحةُ العقيدة، وقوة الإيمان.

وأهل السنة والجماعة أصح الناس عقيدةً، وأقواهم إيماناً؛ ولذلك فأعمالهم تضاعف مضاعفة كبيرة، ودرجاتهم ترفع وتعلو عُلواً لا يدانيه أحد، ولا

يشاركهم فيه إلا من كان على مثل ما هم عليه من العقيدة والإيمان.

ولهذا كان السلف يقولون:«أهل السنة والجماعة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إن كثرت أعمالهم قعدت بهم عقائدهم».

هذه مآثر أهل السنة والجماعة، وهذه بعض خصائصهم التي تميزوا بها على غيرهم، وتلك هي الخصال التي طبقها سلفنا الصالح ــرحمهم الله ورضي عنهمــ فنالوا الخيرات، وحصلوا على البركات.

وليس معنى ذلك أن أهل السنة معصومون؟ لا، بل إن منهجهم هو المعصوم، وجماعتهم هي المعصومة.

أما آحادهم فقد يقع منه الظلم والبغي، والعدوان، وارتكاب المخالفات.

ولكن ذلك قليل بالنسبة إلى غيرهم، ولا يُقَرُّ من فعل ذلك منهم، بل يبتعد عن السنة بقدر مخالفته.

ثم إن ما عند أهل السنة من مخالفات وأخطاء فعند غيرهم أكثر مما عندهم، وما عند غيرهم من فضل وعلم وكمال فعند أهل السنة أكمله وأتمه.

فما أجدرنا ــمعاشر المسلمينــ أن نأخذ بمنهج أهل السنة، وأن نوطن أنفسنا على ذلك، وما أحرانا ــنحن أهل السنةــ أن نقوم بالسنة حق القيام، وأن نقتدي بسلفنا الصالح في كل أمورنا؛ لنرضي ربنا ــجل وعلاــ ولنعطي صورة مشرقة عن الإسلام الصحيح النقي؛ ليقبل الناس عليه، ويحرصوا على الدخول فيه، ولئلا نصبح فتنة لغيرنا من الكفار والمبتدعة، فإذا رأوا ما عليه بعض أهل السنة من بعد عن المنهج ــ قالوا: إذا كان خاصة المؤمنين بهذه المثابة فلا لوم علينا ولا تثريب، وبذلك تندرس معالم الحق، وتنطمس أنوار الهدى.

وأخيراً: نحمد الله أن جعلنا من أهل السنة، ونسأله أن يتم علينا النعمة والمنة، وأن يرزقنا لزوم السنة، والعمل بالسنة، وأن يتوفانا على السنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مصادر الدين هي: الكتاب والسنة (الوحي فحسب)[1]

المنهج الحق، منهج السلف الصالح، أهل السنة والجماعة يقوم على: أن مصادر الدين: الكتاب والسنة، والإجماع (وهو مبني عليهما)، وما عدا ذلك فهو باطل؛ لأنه بموت النبي ﷺ انقطع الوحي، وقد أكمل الله تعالى الدين، قال تعالى: ﴿.. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ..﴾ [المائدة: ٣]، والرسول ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وقال ﷺ: **«تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»**[2].

والدين الحق يقوم على التسليم لله تعالى؛ والتسليم يرتكز على: التصديق والامتثال، والاتباع لرسول الله ﷺ وهو دين الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ بالوحي وأكمله فليس لأحد أن يُحْدث شيئاً زاعماً أنه من الدين لأن النبي ﷺ قال: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[3] فالدين كله عقيدة وشريعة، لا يجوز استمداده إلا من الوحي.

(١) راجع مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، للمؤلف ص٨٨، ومناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع للمؤلف كذلك ص ١٣، ١٤.
(٢) صحيح الجامع الصغير (٢٩٣٤).
(٣) متفق عليه البخاري رقم (٢٦٩٧) ومسلم رقم (١٧١٨).

والعقيدة هي أصول الدين وثوابته وقواطعه، وعليه فإن: مصادر تلقي العقيدة الحق، هي: الكتاب، والسنة وإجماع السلف، وهذه هي مصادر الدين، ويتفرع عن هذه القاعدة العظيمة الأصول التالية:

١ ـ إذا اختلفت فهوم الناس لنصوص الدين، فإنَّ فَهْمَ السلف (الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم) هو الحجة، وهو القول الفصل في مسائل الاعتقاد وغيرها لأنهم خيار الأمة، وأعلمها وأنقاها وقد أمرنا الله وأمرنا رسوله ﷺ بالاقتداء بهم، والرجوع إليهم، وتوعد من اتبع غير سبيلهم، وعليه فإن:

٢ ـ منهج السلف في تقرير العقيدة يعتمد على الكتاب والسنة، ولذلك كان هو الأعلم والأسلم والأحكم. ويتمثل ذلك بآثارهم المبثوثة في مصنفاتهم، وفي كتب السنة والآثار.

٣ ـ العقيدة توقيفية لا يجوز تلقيها من غير الوحي؛ لأنها غيب لا تحيط بها مدارك البشر، ولا عقولهم ولا علومهم.

٤ ـ العقيدة غيبية في تفاصيلها، فلا تدركها العقول استقلالاً، ولا تحيط بها الأوهام، ولا تدرك بالحواس والعلوم الإنسانية ولا غيرها.

٥ ـ كل من حاول تقرير العقيدة واستمدادها من غير مصادرها الشرعية فقد افترى على الله كذباً، وقال على الله بغير علم.

٦ ـ كما أن العقيدة مبناها على التسليم والاتباع: التسليم لله تعالى، والاتباع لرسوله ﷺ.

قال الزهري: (منَ الله ـ عز وجل ـ الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغَ، وعلينا التسليم)[١].

٧ ـ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأئمة التابعين وتابعيهم وأعلام السنة ـ السلف الصالح ـ كانوا على هدي رسول الله ﷺ، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، وآثارهم هي السنة والطريق المستقيم. قال الأوزاعي: (عليك بآثار مَنْ سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم»[٢].

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التوحيد، باب (٤٦)، والفتح جـ ١٣، صـ٥٠٨.

(٢) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله برقم (٢٠٧٧، ٢٠٧٨) ٢ / ١٠٧١ وقال المحقق إسناده صحيح، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٤١ـ١٦٠)/ ٤٩٠.

مصادر التلقي عند أهل الأهواء

أما أهل الأهواء فقد تفرقت بهم السبل في مصادر تلقي الدين والعقيدة، وتنوعت مشاربهم ومصادرهم، فجعلوا من مصادر الدين وتلقي العقيدة:

١ ـ العقليات والأهواء والآراء الشخصية، والأوهام والظنون وهي من وساوس الشياطين وأوليائهم، ومن اتباع الظن وما تهوى الأنفس.

٢ ـ الفلسفة وتقوم على أفكار الملاحدة والمشركين من الصابئة واليونان والهنود والدهريين ونحوهم، والفلسفة أوهام وتخرصات ورجم بالغيب.

٣ ـ عقائد الأمم الأخرى ومصادرها، مثل كتب أهل الكتاب وأقوالهم، والمجوس والصابئة، والديانات الوضعية الوثنية.

٤ ـ الوضع والكذب (لدى الرافضة والصوفية وغالب الفرق)، ومصدره الزنادقة ورؤوس أهل البدع، فإنهم يكذبون على النبي ﷺ، وعلى الصحابة والتابعين وأئمة الهدى وسائر الناس، ويضعون الأحاديث والروايات بأسانيد وهمية ومختلقة.

٥ ـ الرؤى والأحلام والكشف والذوق (لدى الصوفية والرافضة ونحوهم)، ومصدرها الأهواء وإيحاء الشياطين.

٦ ـ المتشابه والغريب والشاذ من الأدلة الشرعية واللغة وأقوال الناس.

٧ ـ الاعتماد على آراء الرجال دون عرضها على الشرع أو القول بعصمتهم وتقديسهم.

سلامة منهج الاستدلال عند السلف أهل السنة وفساد مناهج المخالفين في ذلك

منهج الاستدلال هو: الأصول والقواعد، والطريقة التي يتم بها تلقي الدين وتقرير العقيدة، واستنباط الأحكام من النصوص الشرعية وقواعد الشرع المبنية عليها.

ومنهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة يقوم على القواعد التالية:

١ ـ حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الوحي) في الدين.

٢ ـ مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات، و العموم والخصوص، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك.

٣ ـ يعملون بكل ما صح من الأدلة الشرعية دون تفريق بين آحاد وغيره.

٤ ـ يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم؛ لأنها لغة القرآن والسنة، ويردون ما يخالف ذلك.

٥ ـ يعتمدون تفسير الصحابة، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تنزل الوحي وأعلم باللغة ومقاصد الشرع، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين هم بهم مقتدون.

٦ ـ ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به، وما اشتبه عليهم علمه، أو علم كيفيته، (كبعض نصوص الغيبيات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولا يخوضون فيه.

٧ ـ يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) لاحتمالها للخطأ والصواب؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمالاً.

٨ ـ يتجنبون المراء والخصومات في الدين، ولايجادلون إلا بالتي هي أحسن.

٩ ـ ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع، وبين الحقيقة والشريعة وبين القدر والشرع، وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل فهو من عجز عقولهم وقصورها.

١٠ ـ يتجنبون التأويل في العقيدة والغيبيات ـ بغير دليل شرعي صريح ـ لأنه قول على الله بغير علم؛ ولأن مسائل العقيدة والغيبيات توقيفية لا مجال للرأي ولا للعقل فيها ولا تدرك بالعلوم الحسية.

١١ ـ يعنون بالإسناد وثقة الرواة وعدالتهم لحفظ الدين.

أما منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع والافتراق إجمالاً فإنه يقوم على الأسس التالية:

١ ـ عدم حصر الاستدلال على الدليل الشرعي، حتى في العقائد، (وهي توقيفية)، فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام، والفلسفات، ويسمونها (العقليات)، كما يستدلون بالحكايات والأساطير وما لا أصل له وبالأحاديث الموضوعة والآثار المكذوبة، وآراء الرجال في الدين، وما يسمونه الكشف والذوق والأحلام ونحو ذلك.

٢ ـ لا يراعون قواعد الاستدلال، فيتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم ﴿**فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ**﴾[**آل عمران**: ٧]، ويضربون الأدلة بعضها ببعض، ويزعمون التعارض بينها، ويستدلون بالمجمل ولا يردونه إلى المبيِّن، ولا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، ولا النفي والإثبات، ولا العموم والخصوص.

٣ـ يضعون لأنفسهم أصولاً يبتدعونها بأهوائهم، وينتزعون لها أدلة من القرآن والسنة، على غير المنهج الشرعي في الاستدلال، وما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع، يردونه، أو يؤولونه.

٤ـ يفسرون نصوص الشرع بأهوائهم، فلا يعتمدون تفسير بعضها ببعض، ولا يعتمدون معاني اللغة، وبعضهم قد يستدل ببعض وجوه اللغة بمعزل عن فهم السلف، وعن الدلالات الأخرى.

٥ـ لا يعتمدون تفسير الصحابة والسلف الصالح، ولا فهمهم للنصوص، ولا آثارهم وعملهم وهديهم، بل يجانوبنهم، ويتبعون غير سبيل المؤمنين.

٦ـ يخوضون فيما نهى الله عنه من نصوص القدر والصفات والسمعيات ونحوها ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

٧ـ يعتمدون الألفاظ البدعية في الصفات وسائر العقيدة (كالجسم والعرض والجوهر).

٨ـ يقوم منهجهم على المراء والخصومات والجدال بالباطل.

٩ـ يتوهمون التعارض بين العقل والشرع، وبين الحقيقة

والشريعة وبين القدر والشرع، وبين أصولهم والشرع ثم يحكمون أهواءهم وأصولهم وعقلياتهم الفاسدة ويقدمونها على الشرع.

١٠ - يعتمدون التأويل في العقيدة، ويقولون على الله بغير علم ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

١١ - ليس لهم عناية بالإسناد؛ لتعويلهم على الأهواء وآراء الرجال، والوضع وما لا أصل له، ولذلك يعتمدون الأحاديث الموضوعة والضعيفة، وما لا أصل له، وبالمقابل قد يردون الأحاديث الصحيحة إذا خالفت أهواءهم كما سبق بيانه.

المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالله، وثمراته، وأدلته

أولاً: مفهوم الإيمان بالله وما يتضمنه

للإيمان بالله وتوحيده عدة تعريفات، تتفق في المعنى وربما اختلفت ألفاظها، فمن تلك التعريفات مايلي:

١_ هو إفراد الله بما يستحق.

٢_ هو إفراد الله بحقوقه.

٣_ هو التصديق الجازم بوجود الله _تعالى_ وتوحيده بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته[١].

٤_ هو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأن كل معبود سواه فهو باطل، وعبادته باطلة، وأنه _سبحانه_ متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال، متره عن كل نقص وعيب.

من خلال ما مضى يتبين أن الإيمان بالله يتضمن أموراً أربعة:

١_ الإيمان بوجود الله: وذلك باعتقاد وجوده وجوداً كاملاً لم يسبق بعدم، ولا ينتهي بفناء.

٢_ الإيمان بربوبيته: وذلك باعتقاد انفراده _عز وجل_ بأفعاله، وأنه لا شريك له في خلقه، وملكه، وتدبيره، وغير ذلك من مقتضيات الربوبية.

١_ انظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ الحكمي ص٥٠.

٣ـ **الإيمان بأسمائه وصفاته:** وذلك باعتقاد أن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف.

٤ـ **الإيمان بألوهيته:** وذلك بإفراده ـعز وجلـ بأفعال العباد؛ فلا يُصْرَفُ أيُّ نوعٍ من أنواع العبادة لغيره ـتبارك وتعالىـ.

ثانياً: ثمرات الإيمان بالله

للإيمان بالله ثمرات جليلة، وفوائد جمة، وفضائل كثيرة، منها:

١ـ **الأمن التام والاهتداء التام:** فبحسب الإيمان يحصل الأمن والاهتداء في الدنيا والبرزخ والآخرة قال ـعز وجلـ: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] (الأنعام: ٨٢).

٢ـ **الإيمان بالله طاعة لله ـعز وجلـ:** فالله أمرنا بالإيمان به، وطاعتُه واجبةٌ، وهي أصل كل خير، قال ـتعالىـ: [قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ] (البقرة: ١٣٦).

٣ـ **حصول الاستخلاف في الأرض والتمكين والعزة:** قال ـعز وجلـ: [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً] (النور: ٥٥).

٤ـ **دخول الجنان والنجاة من النيران:** قال ـتعالىـ: [إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ] (محمد: ١٢).

٥ـ **الحياة الطيبة:** فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب إنما هي ثمرة من

ثمرات الإيمان بالله ـعز وجلـ [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً] (النحل: ٩٧).

قال ابن كثير رحمه الله في شرح هذه الآية: «وهذا وعد من الله ـتعالىـ لمن عمل صالحاً، وهو العمل المتابع لكتاب الله ـتعالىـ وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا المأمور به مشروع من عند الله ـ بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة.

والحياة الطيبة تشتمل على وجوه الراحة من أي جهة كانت»[1].

٦ـ **حلول الخيرات ونزول البركات:** قال الله ـتعالىـ: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] (الأعراف: ٩٦).

٧ـ **الهداية لكل خير:** قال الله ـتعالىـ: [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ] (التغابن:١١).

وقال: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ] (يونس:٩).

٨ـ **زيادة الإيمان والثبات عليه:** فالمؤمنون يتقلبون من نعمة إلى نعمة، وأعظم نعمة يجدونها من الإيمان بالله هي أن يثبتهم الله على الحق، ويزيد إيمانهم، فالثبات على الإيمان سبب لزيادته قال ـتعالىـ: [وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى

١ـ تفسير ابن كثير ٥٦٦/٢.

وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ] (محمد: ١٧).

٩ـ الفوز بولاية الله ـعز وجلـ: وأكرم بها من ولاية، قال ـتعالىـ: [ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ (١١)] (محمد).

١٠ـ السلامة من الخسارة: قال ـتعالىـ: [وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)] (العصر).

١١ـ الإيمان بالله سبب لدفاع الله عن أهله: قال ـعز وجلـ: [إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا] (الحج: ٣٨).

١٢ـ تكفير السيئات: قال ـتعالىـ: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ] (محمد:٢).

١٣ـ الرفعة والعلو: قال ـتعالىـ: [يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ] (المجادلة: ١١).

١٤ـ إخلاص العمل: فلا يمكن للعبد أن يقوم بالإخلاص لله، ولعباد الله، ونصيحتهم على وجه الكمال إلا بالإيمان.

١٥ـ قوة التوكل: فالإيمان بالله يوجب للعبد قوة التوكل على الله، [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ] (الطلاق:٣).

١٦ـ الشجاعة: فالإيمان بالله يبعث على الشجاعة والإقدام؛ لأنه يملأ قلب المؤمن بالخوف من الله، والخشية له، وتعظيمه، وإجلاله.

وإذا كان كذلك ذهب خوف الخلق من قلبه كليةً؛ فالجزاء من جنس العمل؛ فمن خاف الله آمنه من كل شيء، وجعل مخاوفه أمناً والعكس.

١٧_ **حسن الخلق:** فالإيمان يدعو إلى حسن الخلق مع جميع طبقات الناس، وإذا ضعف الإيمان أو نقص أو انحرف أثَّر ذلك في أخلاق العبد انحرافاً بحسب بُعْده عن الإيمان.

١٨_ **الإعانة على تحمل المشاق:** فالإيمان أكبر عون على تحمل المشاق، والقيام بالطاعات، وترك الفواحش والمنكرات.

١٩_ **الذكر الحسن:** فالإيمان يوجب لصاحبه أن يكون معتبراً عند الخلق أميناً.

٢٠_ **عزة النفس:** فالإيمان يوجب للعبد العفة، وعزة النفس، والترفع عن إراقة ماء الوجه؛ تذللاً للمخلوقين.

٢١_ **أن الإيمان هو السبب الوحيد للقيام بذروة سنام الإسلام** وهو الجهاد البدني والمالي والقولي في سبيل الله.

هذا شيء من ثمرات الإيمان، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة كله فرع عن الإيمان، ومترتب عليه، والهلاك والنقصان إنما يكون بفقد الإيمان، أو نقصه[١].

ثالثاً: الأدلة على وحدانية الله _سبحانه وتعالى_

الأدلة على وحدانية الله كثيرة جداً، ويكفي منها شهادته _عز وجل_ لنفسه حيث قال: [شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)] (آل عمران).

وصدق من قال:

١_ انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن سعدي، ١٣٠_١٣٤.

فصل

في التحذير من البدع

أولا: تعريف البدعة، أنواعها وأحكامها

تعريف البدعة:

البدعة في اللغة مأخوذة من البدع، وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]؛ أي: مخترعها على غير مثال سابق، وقوله تعالى: ﴿قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ أي: ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال: ابتدع فلان بدعة؛ يعني: ابتدأ طريقة لم يسبق إليها.

والابتداع على قسمين: ابتداع في العادات؛ كابتداع المخترعات الحديثة[١]، وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة. وابتداع في الدين، وهذا محرم؛ لأن الأصل فيه التوقيف؛ قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه؛ فهو رد»[٢]، وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد»[٣].

---

(١) ويدخل في ذلك الاكتشافات العلمية بأنواعها المختلفة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) في «صحيح مسلم».

أنواع البدع:

البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية؛ كمقالات الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات؛ كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أنواع:

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة؛ بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع؛ كأن يحدث صلاة غير مشروعة، أو صياماً غير مشروع، أو أعياداً غير مشروعة؛ كأعياد الموالد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة؛ كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة؛ بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع؛ كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام؛ فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

حكم البدعة في الدين:

كل بدعة في الدين - من أي نوع كانت - فهي محرمة وضلالة؛ لقوله ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(١)، وقوله

---

(١) رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

ﷺ: «من أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه؛ فهو رد»، وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد»؛ فدل الحديث على أن كل محدث في الدين؛ فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة.

ومعنى ذٰلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة.

ولٰكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة؛ فمنها ما هو كفر صراح؛ كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكمقالات غلاة الجهمية والمعتزلة. ومنها ما هو من وسائل الشرك؛ كالبناء على القبور، والصلاة والدعاء عندها. ومنها ما هو فسق اعتقادي؛ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية. ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل، والصيام قائماً في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع[1].

تنبيه:

من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة؛ فهو غالط ومخطىء ومخالف لقوله ﷺ: «فإن كل بدعة ضلالة»؛ لأن الرسول ﷺ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، وهٰذا يقول: ليس كل بدعة ضلالة، بل هناك بدعة حسنة!

قال الحافظ ابن رجب في «شرح الأربعين»: «فقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة»: من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه؛ فهو رد»؛ فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه؛ فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذٰلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة»[2] انتهى.

---

(١) انظر: «الاعتصام» للشاطبي (٢ / ٣٧).	(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٣٣).

وليس لهٰؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: «نعمت البدعة هٰذه»، وقالوا أيضاً: إنها أحدثت أشياء لم يستنكرها السلف؛ مثل جمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة الحديث وتدوينه.

والجواب عن ذٰلك: أن هٰذه الأمور لها أصل في الشرع؛ فليست محدثة، وقول عمر: «نعمت البدعة»؛ يريد البدعة اللغوية لا الشرعية؛ فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه؛ إذا قيل: إنه بدعة؛ فهو بدعة لغة لا شرعاً؛ لأن البدعة شرعاً ما ليس له أصل في الشرع يرجع إليه.

وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع؛ لأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن، لٰكن كان مكتوباً متفرقاً، فجمعه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد حفظاً له.

والتراويح قد صلاها النبي ﷺ بأصحابه ليالي، وتخلف عنهم في الأخير؛ خشية أن تفرض عليهم، واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعاً متفرقين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلف إمام واحد، كما كانوا خلف النبي ﷺ، وليس هٰذا بدعة في الدين.

وكتابة الحديث أيضاً لها أصل في الشرع؛ فقد أمر النبي ﷺ بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه لما طلب منه ذٰلك، وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده ﷺ خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلما توفي ﷺ؛ انتفى هٰذا المحذور؛ لأن القرآن قد تكامل وضبط قبل وفاته ﷺ، فدون المسلمون السنة بعد ذٰلك؛ حفظاً لها من الضياع؛ فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً؛ حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام من الضياع وعبث العابثين.

ثانيا: ظهور البدع في حياة المسلمين والأسباب التي أدت إلى ذلك

ظهور البدع في حياة المسلمين:

وتحته مسألتان:

١ ـ وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1]: «واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر الخلفاء الراشدين؛ كما أخبر به النبي ﷺ؛ حيث قال: «من يعش منكم بعدي؛ فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[2]، وأول بدعة ظهرت بدعة القدر وبدعة الإرجاء وبدعة التشيع والخوارج، هٰذه البدع ظهرت في القرن الثاني، والصحابة موجودون، وقد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال، وحدثت الفتن بين المسلمين، وظهر اختلاف الآراء، والميل إلى البدع والأهواء، وظهرت بدعة التصوف وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة، وهٰكذا كلما تأخر الوقت؛ زادت البدع وتنوعت».

٢ ـ مكان ظهور البدع:

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحرمان، والعراقان، والشام،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٣٥٤).

(٢) صحيح. أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذٰلك من أمور الإسلام، وخرج من هٰذه الأمصار بدع أصولية غير المدينة النبوية؛ فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء وانتشر بعد ذٰلك في غيرها، والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد وانتشر بعد ذٰلك في غيرها، والشام كان بها النصب والقدر، أما التجهم؛ فإنما ظهر في ناحية خراسان، وهو شر البدع.

وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان؛ ظهرت بدعة الحرورية.

وأما المدينة النبوية؛ فكانت سليمة من ظهور هٰذه البدع، وإن كان بها من هو مضمر لذٰلك؛ فكان عندهم مهاناً مذموماً؛ إذ كان بهم قوم من القدرية وغيرهم، ولٰكن كانوا مقهورين ذليلين؛ بخلاف التشيع والإرجاء في الكوفة، والاعتزال وبدع النساك بالبصرة، والنصب بالشام؛ فإنه كان ظاهراً، وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أن الدجال لا يدخلها، ولم يزل العلم والإيمان بها ظاهراً إلى زمن أصحاب مالك، وهم من أهل القرن الرابع[1]، فأما الأعصار الثلاثة المفضلة؛ فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة ألبتة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ألبتة كما خرج من سائر الأمصار».

الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:

مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال؛ قال تعالى: ﴿**وأَنَّ هٰذا صِراطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعوهُ وَلا تَتَّبِعوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقد وضح ذٰلك النبي ﷺ فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطّاً؛ فقال: «هٰذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن

(١) «مجموع الفتاوى».

شماله، ثم قال: «وهٰذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»[١]، ثم تلا: ﴿وأنَّ هٰذا صِراطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعوهُ وَلا تَتَّبِعوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فمن أعرض عن الكتاب والسنة؛ تنازعته الطرق المضللة والبدع المحدثة.

فالأسباب التي أدت إلى ظهور البدع تتلخص في الأمور التالية: الجهل بأحكام الدين، اتباع الهوى، التعصب للآراء والأشخاص، التشبه بالكفار وتقليدهم، ونتناول هٰذه الأسباب بشيء من التفصيل.

١ ـ الجهل بأحكام الدين:

كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة؛ قل العلم وفشا الجهل؛ كما أخبر بذٰلك النبي ﷺ بقوله: «من يعش منكم؛ فسيرى اختلافاً كثيراً»[٢]، وقوله: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولٰكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً؛ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[٣].

فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء؛ فإذا فقد العلم والعلماء؛ أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا.

٢ ـ اتباع الهوى:

من أعرض عن الكتاب والسنة؛ اتبع هواه.

كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعونَ أَهْواءَهُمْ وَمَنْ

(١) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم.

(٢) من حديث رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١ / ١٨٠).

أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ وأَضَلَّهُ اللهُ على عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع.

٣ ـ التعصب للآراء والرجال:

التعصب لآراء الرجال يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق.

قال تعالى: ﴿وإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا﴾ [البقرة: ١٧٠].

وهٰذا هو شأن المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب والصوفية والقبوريين، إذا دعوا إلى اتباع الكتاب والسنة، ونبذ ما هم عليه مما يخالفهما؛ احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم.

٤ ـ التشبه بالكفار:

هو من أشد ما يوقع في البدع؛ كما في حديث أبي واقد الليثي؛ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر! إنها السنن! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنا إِلٰهاً كما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتركبُنَّ سنن من قبلكم»(١).

---

(١) رواه الترمذي وصححه.

ففي هٰذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل وبعض أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام أن يطلبوا هٰذا الطلب القبيح، وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها ويتبركون بها من دون الله، وهٰذا نفسه هو الواقع اليوم؛ فإن غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات؛ كأعياد الموالد، وإقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة، والاحتفال بالمناسبات الدينية والذكريات، وإقامة التماثيل والنصب التذكارية، وإقامة المآتم، وبدع الجنائز، والبناء على القبور. . . وغير ذٰلك.

ثالثاً: موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة ومنهجهم في الرد عليهم

موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة:

ما زال أهل السنة والجماعة يردون على المبتدعة وينكرون عليهم بدعهم ويمنعونهم من مزاولتها، وإليك نماذج من ذٰلك:

١ ـ عن أم الدرداء؛ قالت: «دخل عليَّ أبو الدرداء مغضباً، فقلت له: ما لك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعاً»[1].

٢ ـ عن عمرو بن يحيى؛ قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه؛ قال: «كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج؛ مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج عليكم أبو عبد الرحمٰن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج؛ قمنا إليه جميعاً، فقال: يا أبا عبد الرحمٰن! إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا

(١) رواه البخاري.